Al-Turath Al-Adabi

ISSN (P): 3005-7426, ISSN (E): 3005-7434

Vol: 01, Issue: 01 (Jan-June 2023)

https://alturath.numl.edu.pk/index.php/alturath/index

DOI: https://doi.org/10.52015/al-turathal-adabi.v1i01.9

Received: March 05, 2023 | Accepted: June 15, 2023 | Available Online: June 30, 2023

أدب الرحلات عند الشيخ ناصر محمد بن العبودي من خلال رحلته "سياحة في كشمير"

Travel literature of Sheikh Nasir Muhammad bin Al-Aboudi through his Tourism trip of Kashmir

الدكتور سيد ضياء الحسنين

مدير مركز الدراسات العربية والإسلامية، ورئيس مجلس إدارة بيت المال، سيالكوت

Dr. Syed Zia Ul Hasnain

Director Centre of Arabic and Religious Studies, and Chairman Bait ul Mal Sialkot

Abstract

The trip is important in the field of geographical, social, economic and literary information, and the trips have a profound impact on Arabic literature, and the trips are a source of historical literary and geographical sources. The trip was a help to the historian and geographer alike, as most of the Muslim geographers were nomads and recorded their observations and inspections of the various regions, they set foot in. The journey had a role in refining the approach of these people and confirming the facts and events by witnessing and observing, and consequently led to the widening of the horizon of its owner due to the large number of countries he visited, mixing

Al-Turath Al-Adabi, Department of Arabic, NUML, Islamabad, **This work is** licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License (CC BY-NC 4.0).

with scientists and people of knowledge, and thus came in a high literary style. Among the Arab travelers of contemporary period, Sheikh Nasir Muhammad bin Al-Aboudi, a Saudi national. The research was divided into three sections and a conclusion: The 1st section has discussed literature in the 2nd half of 19th century. The 2nd section was a brief summary of Sheikh Nasirr Muhammad bin Al-Aboudi. The 3rd section was all about literary prose on his tourism journey in Kashmir. In the last there is nonclusion, which contains the most important recommendations and proposals.

Keyword: Travel Literature, Sheikh Nasir Al-Aboudi, Kashmir, Arabic.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، إن للرحلة أهمية في مجال المعلومات الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية، والرحلات أثرت أثراً عميقاً في الأدب العربي، والرحلات تعدُّ مصدراً من المصادر التاريخية الأدبية والجغرافية. وكانت الرحلة عوناً للمؤرخ والجغرافي على حد سواء، إذ أن أغلب الجغرافيين المسلمين كانوا رحالة وسجلوا مشاهداتهم ومعاينتهم للأقاليم المختلفة التي وطئوها. فقد كان للرحلة دور في صقل منهج هؤلاء وتأكيد الوقائع والأحداث بالمشاهدة والملاحظة وأدت بالتالي إلى اتساع أفق صاحبها لكثرة ما زار من البلدان واختلط بالعلماء وأصحاب المعرفة فجاءت بذلك في أسلوب أدبي رفيع .

"ومع مرور الزمن اعتبرت الرحلة لونا من ألوان الأدبية الرفيعة ذا خصوصية تميزه عن غيره من الألوان الأدبية النثرية الأخرى، فهو ـ وإن كان ـ يتفق مثلاً مع الرواية في الإفادة من المعطيات الفنية، ويشاكلها في السرد والوصف أحيانا، فإنه يختط له خطاً متميزاً، إذ يجمع إلى جانب ما سبق عناية برصد الواقع كما هو، دون اللجوء إلى الخيال إلا في إطار محاولة اختيار الأسلوب، وتقديم الواقع في ثوب أدبي، وهو إلى ذلك يقدم المعلومة في ثوب أدبي، حتى ليمكن أن نعد الفائدة والمتعة، وجهين لعملة واحدة، هي أدب الرحلة".

ومن هؤلاء الرحالة العرب الشيخ ناصر محمد بن العبودي، الذي ولد في السعودية عام ١٣٤٥هـ.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: أدب الرحلة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

المبحث الثاني: نبذة موجزة عن الشيخ ناصر محمد بن العبودي.

المبحث الثالث: النثر الأدبي في رحلته السياحة في كشمير.

الخاتمة وفيها أهم التوصيات والمقترحات.

المبحث الأول: أدب الرحلة في القرن التاسع عشر

ما زال أدب الرحلة في مطلع العصر الحديث يحدث صدى ممتداً، لا زال أثره إلى الآن على المستويين الفكري والأدبي، ذلك أن كتاب هذا اللون الأدبي كانوا من أوائل من كتب عن الحضارة الغربية بعد ارتحالهم إلى أوربا، وكانت كتاباتهم ميدانًا ثراً لدراسات موسعة بعد ذلك، ويكفي أن نستدل على ذلك برحلة رفاعة الطهطاوي، إلى فرنسا عام ١٢٤١ هـ وما نتجت عنه من تأليفه لكتابه الممتع النافع (تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز) الذي عرض فيه كثيراً من جوانب الحياة الفرنسية، ثم كانت رحلة محمد عياد الطنطاوي إلى (أوروبا الشرقية) عام ١٢٥٦ هـ التي كتب بعدها كتابه (تحفة الأذكياء بأخبار بلاد الروسيا) وإن كانت لم تحظ بما حظيت به رحلة الطهطاوي من دراسات ونقد، إذ أثار كتاب الطهطاوي زوبعة من القضايا الفكرية التي كانت تدور في معظمها حول علاقتنا بالآخر أو بعبارة أخرى علاقة الأمة المسلمة بالحضارة العربية.

إلى جانب ذلك فقد كان لكتاب الطهطاوي فضل كبير في الانتقال باللغة الأدبية من مجرد التبارى في المحسنات البديعية، وما أورثه ذلك من حجر وتأخر لهذه اللغة، إلى لغة محررة من هذه القيود والأغلال، إذ استطاع أن يقتنص من قاموسها اللغوي الضخم ما يتناسب مع مهمته البكر في نقل بعض جوانب الحياة الغربية، وهي بداية موفقة، إذا ما قيست بما يصيب

البدايات غالباً من القصور والضعف، وإذا أخذنا في الحسبان سياقها الزمني وظرفها التاريخي والأدبي.

فعلى المستوى الفكري لهذه الرحلات يرى بعض الباحثين أن لكتابة العربية قد انصبت في بعض جوانبها على الاهتمام بالآخر، حتى ليقول معجب الزهراني: إن الكتابة العربية بأشكالها الإبداعية والمعرفية، تأسست في جزء كبير منها على هاجس التعرف على الحضارة الغربية ... فمنذ الطهطاوي وخير الدين التونسي والشدياق والمويلحي في القرن الماضي إلى كتابنا المحليين، ومروراً بأجيال من رموز الكتابة العربية الحديثة، فالجميع كان وما يزال منشغلاً بتأويل الاختلاف مع الآخر الغربي وتوظيف هذا التأويل في سياق الخطاب الذي يسعى إلى نشره وتكريسه[1] ، وهو ما يراه قبلاً معن زيادة الذي يشير إلى أن الأبعاد الفكرية للرحلة والرحلات تتجاوز حدود الأدب، كما لا يمكن حصرها في حدود الجغرافية، وهما المظهران الأساسيان للرحلة في الثقافة العربية التقليدية ... إنها أداة تفاعل حضاري، ووسيلة من وسائل التقدم والتطور، وهذا ما تؤكده رحلات الطهطاوي، والتونسيين والشدياق ومراش، وغيرهم من مفكري العرب في القرن الماضي[2] .

وإذا كان هذا على المستوى الفكري فإن رحلة الطهطاوي خاصة قد أدت دوراً رياديًا كبيراً على المستوى الفني أيضاً حيث يقول عمر الدسوقي: "وإذا رحنا نتحسس طريقنا نحو تطور النثر الفني، وجدنا أول الرواد الذين عبدوا هذا الطريق، وأرفدوه بكثير من عوامل الصحة والقوة، ألا وهو الشيخ رفاعة الطهطاوي"[3]

وفي إطار آخر فإن العصور المتأخرة وبخاصة القرن التاسع عشر الميلادي قد شهد رحلات متوالية من الأجانب الذين قدموا إلى الشرق عامة، والجزيرة العربية خاصة، حتى ليقول روبن بدول: من المحتمل أن يكون ما كتب عن الجزيرة العربية، أكثر من كتب عن أي جزء آخر من العالم[4] ، ويضرب أمثلة على ذلك برحلات: لودفيكو، جوزيف بتسي، نيبور، بيرتون، بلجريف، دواتي فلبي[5]، ويختلف الباحثون حول

أهداف هذه الرحلات وغاياتها، فيرى بعضهم أنها تهدف فقط إلى الاطلاع، حتى ليرى سعد البازعي أنها نوع من الاهتمام بالآخر "وأن ذلك الاهتمام كان مجرداً ليس له أي هدف غير ذلك [6]. ومن المهم أن نتساءل عن موضوعية هذا الرأي، وبخاصة وأن معظم الباحثين يرى أن هناك أهدافاً تجسسية تقف خلف هذا الاهتمام، إذ كان يقصد من وراء هذه الرحلات تمهيد الطريق أمام الاستعمار السياسي للبلدان المرتحل إليها، إذ يؤكد أحد الباحثين ذل بقوله: إن للدوافع السياسية والتجسسية دوراً كبيراً في وصول بعض الرحالة الغربيين للجزيرة العربية، والحجاز على وجه الخصوص[7] .

ويبدو د. عبدالرحمن حميدة أكثر صراحة إذ يقول: "لقد دعمت الرحلة، برية كانت أو بحرية، بطريق مباشر أو غير مباشر النشاط الاستعماري الذي بلغ أوجه في القرن التاسع عشر حين اتسعت القاعدة الاقتصادية في أوروبا... الأمر الذي كثف من نشاط الرحلات بغية الكشف والتوسع الإقليمي"[8]

ومع هذين الاتجاهين المتضادين فإني أحسب أن من غير الممن القطع بتهمة، أو تبرئة هذه الرحلات بشكل عمومي، وأعتقد أن ترجمة هذه الرحلات إلى العربية، ومن ثم دراستها دراسة جيدة ستكشف لنا رؤية واضحة في تصنيف هذه الرحلات، ومما يحمد لبعض الباحثين اتجاههم إلى هذا النهج مؤخراً ، مما سيثير المثقفين العرب، ويثري المكتبة العربية بكتب جديدة لها أهميتها وخطورتها، وإذا كان أحد الفرنسيين يقول في القرن الثامن عشر: (إن الرحلات تشكل أكبر المدارس تثقيفًا للإنسان[9]) فقد آن لنا ونحن في نهاية القرن العشرين أن نسهم إسهاماً إيجابياً فاعلاً في بعث هذه الرحلات ودرسها دراسة علمية، إذ إنها تشكل رؤية رحالة أجانب دخلوا إلى أعمال مجتمعاتنا الإسلامية، حين كانت الأمة في نكستها، وتلبس بعضهم لباس الدي[10] حتى يكتبوا كتابات عميقة عن هذه المجتمعات، ووعي هذه الرؤية تمكننا إلى حد بعيد من معرفة نظرة الآخر لنا، ومن ثم تؤهلنا للتعامل معه تعاملاً يحفظ لنا إدراكنا بمن

نحن؟ ومن نحن؟ وتصبح مناداة بعض مثقفينا بضرورة ترجمة هذه الأعمال مشروعة وجديرة بالإسراع في النهوض بها.[11]

من بداية القرن ١٣ هـ إلى هذا العصر تسمى عصر النهضة العربية، وسبب تسميته لأن العرب اتصلوا بالغرب، فجماعات من الرجال العلماء والأدباء سافروا إلى الغرب للحصول على المعارف والعلوم.

"اشتهر من الرحالة في هذا العصر (رفاعة الطهطاوي) الذي سافر إلى فرنسا عام ١٢٤١ هـ ودوّن رحلته في شكل كتاب (تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز)، وكان الطهطاوي يعرض في هذا الكتاب ظواهر الحياة الفرنسية".

ومن الرحالة الآخرين الذين ساهموا في أدب الرحلة منهم محمد عمر التونسي الذي ألف رحلته بعنوان (تشحيذ الأذهان)، ومحمد عبدالله وداود بركات من الرحالة العرب اللذان سافرا إلى الغرب والشرق، وكان محمد فريد سافر برحلة إلى بعض دول أفريقيا كالجزائر وتونس، وعبدالعزيز الثعالبي وحسين هيكل، وإبراهيم عبدالقادر المازني الذين سافروا إلى العالم الإسلامي ومن رحلاتهم (منزل الوحي) و(رحلة الحجاز).

وأما شيخنا عميد الرحالين ناصر العبودي[12] ألف حوالي مائة كتاب في رحلاته. ومن أشهر رحلاته (في إفريقيا الخضراء مشاهدات وانطباعات، ورحلات في القارة الأوربية: من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء، وكنت في بلغاريا رحلة وحديث عن أحوال المسلمين.

ويقول عبدالعزيز بن محمد السحيباني في مقالته قائلاً: "أن يقوم بطبع كتبه المخطوطة في الرحلات، التي تقارب مائة كتاب فكتب معاليه رائعة وشيقة وكلما قرأت كتابا اشتقتُ إلى الآخر.. ومن هذه الكتب كتاب رحلات في البيت وهي رحلات داخل المملكة العربية السعودية وأتمنى أن يرى النور قريباً" [13]

المبحث الثاني: نبذة موجزة عن الشيخ ناصر محمد بن العبودي.

الشيخ ناصر محمد بن العبودي

اسمه: "محمد بن ناصر بن عبدالرحمن بن عبدالكريم بن عبدالله بن محمد بن عُبود، كانت أسرته إلى عهد قريب تُعرف بـ (العبود) ثم ألحقت الياء في عهد جده الأقرب عبدالرحمن" (14)

"ويرجع نسبه إلى أسرة آل سالم المشهورة في بريدة، وهي من أسرِ بريدة العريقة القديمة، إذ يناهز عمرها أربع مئة سنة، فإملاكها مُوغلة في تاريخ بُريدة، ترجع في بعض الأقوال إلى أواخر القرن التاسع الهجري، ويذكر الإخباريون أن لآل سالم كيانًا مميزاً في بريدة، قبل أن تتخذ صفة المدينة الواحدة، وكانت آنذاك مجموعة مواقع زراعية، وقد انتهى هذا الكيان إلى حيٍّ صغير كانوا يسمونه (جورة السالم)، وتعني في حاضرنا (حارة السالم)، وتقع هذه الحارة إلى الغرب من (قبة رشيد)، وإلى الجنوب من جامع بريدة الكبير، على بعد نحو مئتين وخمسين متراً."

وقد ولد الشيخ في آخر ربيع الثاني سنة ألف وثلاثمائة خمسة وأربعين هجرية أما ولادته فقد وُجِدَ مثبتًا في الوثائق المحفوظة لدى عائلته أنها كانت في بريدة، في اليوم الأخير من شهر ربيع الآخر عام ألف وثلاثمائة وخمس وأربعين للهجرة.

وكانت نشأته في بيئة فقيرة، وسط أسرة محافظة، ورباه ترتبية حسنا، ووقد كانت لهذه التربية والنشأة أثر ظاهرٌ في حياته، فحفظ القرآن الكريم في سنٍّ مبكرة، فبدأ رحلته مع العلم صغيراً.

ويقول الشيخ عبودي: "أنه دخل هذا الكتّاب ـ المدرسة ـ وعمره لا يتجاوز خمس سنوات وذلك لسببين : أحدهما رغبة والده في التعليم المبكر لابنه ، وثانيهما قرب مدرسة الشيخ سليمان بن عبدالله العمري من بيتهم، حيث كان جاراً لهم، وتربطه به صلة مصاهرة وقربى، فلا يحتاج إلى من يوصله إلى المدرسة". (15)

ثم التحق الشيخ ناصر العبودي في مدرسة الشيخ عبدالله بن إبراهيم في عام ١٣٥٦هـ ، وكانت هذه المدرسة من المدارس المتطورة في آنذاك.

ثم عين مدرسًا في المدرسة الحكومية السعودية الأولى في منطقة بريدة في ذاك الوقت، ولكنه ما استمر هذه الوظيفة لأجل الحصول على العلم والتفرغ له.

ثم عين الأمين العام بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في عام ألف وثلاثمائة وثمانين (١٣٨٠)، وبعد مدة من الزمن حصل على الترقية وأصبح وكيلاً للجامعة، ثم أختير أمينًا عاماً للدعوة الإسلامية والهيئة العليا، وعمل تسع سنوات، ثم الرئيس بالنيابة لرابطة العالم الإسلامي، وبقي في هذا العمل حتى تقاعد عن العمل الحكومي في عام ١٤٣٣هـ، وبذلك فإنه يكون قد أكمل سبعين عامًا في الوظيفة الحكومية. (16)

صفاته العلمية والعملية

وإذا أردنا أن نتتبعَ صفاته العلمية فإنّ من أهمها: "الحزم والاهتمام بالوقت، إذ لا مجال عنده يسمحُ بتأجيل أمرٍ يستدعي إجراء معيَّنا في وقتٍ معيَّن، مهما كانت المسوغاتُ، وإذا ما اضطرُّ إلى ذلك فإنه سرعان ما تبدو على صفحات وجههِ علامات الرفض والتبرُّم، ولقد منَحهُ هذا السلوك مهارةً في الإدارةِ وقدرةً على الاستقلالية، فليس لأحدٍ يدٌ في أعماله، ومن النادر أن يضطرَّ إلى مساعدةِ الآخرين أو مشاركتهم".

ومن صفاته العملية: "العزم والإصرار، وكيف لتلك الأعمال الضخمة والطويلة المدى أن ترى النور لولا صبره وجلَدَهُ السنين الطِّوال، فكتابُه: (معجم أُسر بُريدة) جاء في ثلاثةٍ وعشرين مجلداً استغرق تأليفها نحو خمسين سنة، كما يتبدّى إصراره في حِرصِه على جمع المعلومات والحصول عليها، فما إن تتعذّر عليه المعلومةُ حتى يجتَهِدَ ويُجهِدَ غيرَه في الحصولِ عليها."

ومن صفاته العملية أيضًا: التؤدةُ والحرصُ على أداء الأعمال بكفاءةٍ ومِهنيّةٍ، مع مراعات الذوق والترتيب في كلِّ أعماله وأحواله، ورُبما يكون لتؤدتِهِ وحسنِ ترتيبهِ دورٌ مهمٌ في قوَّة ذاكرته وقدرته على الاستيعاب.(17)

كما أن لديه قدرة عل التركيز والبحث والربط بين الأفكار رغم تعدُّدِ مجالات أعماله وتنوعها، فلا يجد صعوبةً في الانتقال من تنقيح كتاب في الرحلة إلى تسجيل مصطلح لغوي في معجمِه أو ملاحظة خطرت على باله، كلُّ ذلك يفعلُه في وقتٍ واحدٍ دون أن تتداخلَ الأعمال أو تتأثر ببعضها، وكان حصيلةُ هذه المقدرةِ عدداً كبيراً من الكتب يربو على ثلاث مئة كتاب، بعضها يتجاوزُ العشرة مجلدات.

أما الصفات العامة فقد عرف العبودي بتفاؤله وبشخصيته القوية، وبطبيعته الهادئة، وبكرمه وبذله للعلم، كما عُرف بالحلم والتسامح وسَعةِ الصدر، وعلى علوّ قدرِهِ وسبقِهِ إلا أنك تراه متواضعًا، زاهداً، وفيًّا، يقدِّرُ الآخرين، ويحترمُ آراءهم.

مؤلفاته

"اتخذ العبودي الكتابة منهجا وأسلوباً في الحياة، فهو يكتب في جميع الأحوال وتحت كلّ الظروف، يكتب في السفر والحضر، وفي الطائرة وفي الإنتظار، لأن راحتَه ومتعتَه في الكتابة، وقد بدأ تجربةَ الكتابة منذ سنة ١٣٥٥ هـ تقريباً، وكان إذ ذاك طفلاً لم يتجاوز عمره الحادية عشرة، يقرأ ويتعلم على أستاذه محمد بن صالح الوهيبي رحمه الله."

"ولقد استطاع العبودي من خلال منهجيته في الكتابة اليومية أن يدعم المكتبة العربية عمومًا والسعودية خصوصًا بكمٍّ ضخمٍ من الكتب، وبعض هذه الكتب يقع في مجلداتٍ عدةٍ، وحاز لذلك جائزة وزارة الثقافة والإعلام بصفته أحسنَ مؤلف سعوديٍّ لعام ١٤٣٥هـ".

وقد ألف عدد كثير من المؤلفات التي تصل عددها إلى ثلاثمائة كتاب في موضوعات شتى منها أدب الرحلة، واللغة والإسلام وغير ذلك من الموضوعات.

ومن أهم ما ألف في أدب الرحلات

"الرحلات البرازيلية، رحلات في جنوب روسيا الاتحادية إقليم أورنبوغ، أيام في النيجر، سياحة في كشمير، رحلة إلى سيلان وحديث في أحوال المسلمين" وأما مؤلفاته المطبوعة في

غير فن الرحلات منها: "معجم بلاد القصيم. في ستة مجلدات، الأمثال العامية في نجد. خمسة مجلدات، نفخات من السكينة القرآنية، مأثورات شعبية، سوانح أدبية"

فهذه بعض الكتب المطبوعة، وأما الكتب المخطوط والمنتظرة للطباعة فعددها أكثر من مائة كتاب.

وقد شارك العلماء والأدباء في الحفل التكريم التي أقيمت لشيخ ناصر العبودي بتاريخ واحد وعشرين من شهر الرجب المرجب عام ألف وأربعمائة وستة من هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد لقب الشيخ ناصر العبودي بـ عميد الرحالين.

المبحث الثالث: النثر الأدبي في رحلته "سياحة في كشمير".

إن الهدف من رحلاته هو الغرض الديني، ومساعدة مسلمي كشمير على الشؤن الإسلامية كتعمير المساجد وبناء المدارس ومنح الدراسية وغير ذلك كما يشير الشيخ العبودي في مقدمة كتابه قائلاً : تقدمت طائفة من أهل كشمير ممثلة في الجامعة الإسلامية هناك بالتماس إلى السفارة السعودية في الهند يتضمن طلب العون والمساعدة على الشؤن الإسلامية من تعمير المساجد، وتشييد المدارس وتقديم المنح الدراسية، فصدر أمر رئاسة مجلس الوزراء إلى الرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة بأن ترسل الرابط وفداً أو شخصًا لهذا الغرض فطلبت مني رابط العالم الإسلامي أن أتولى ذلك على اعتبار أنني سبقت لي رؤية كشمير وحصل عندي شيء من المعلومات عن أحوال المسلمين فيها فرحبت بذلك [18]

وقد زار الشيخ ناصر العبودي منطقة كشمير مرتين ففي المرة الأولى زاها في عام ١٣٩٩هـ، ثم في عام ١٤٠١ هـ، كما يقول الشيخ: .... زيارة كشمير فكان ذلك مرتين أولاهما: كانت زيارة خاصة مبعثها الرغبة في الزيارة وحدها لأنه المرة الأولى، وذلك بأنني كنت في مدينة (بتنة) عاصمة ولاية بيهار الهندية أحضر مؤتمراً أو مهرجانا كانت تقيمه الجامعة السلفية الإصلاحية هناك.... أما المرة الثانية فكانت بعد أن اطلعت على أحوال المسلمين في كشمير فرأيت أنها متدنية في ميدان الثقافة الإسلامية...[19]

الوصف العام لرحلة ناصر العبودي "سياحة في كشمير"

تناول الكتاب العديد الصفحات المشرقة لهذه المنطقة الجميلة التي سميت "جنت نظير" أي المنطقة مثل الجنة، كما بين قضية كشمير، ودخول الإسلام إلى كشمير وتحدث عن سياحته إلى كشمير وقد قسم كتابه إلى مقدمة تحدث فيها عن موقع كشمير، وسكانها، وديانتها، ثم في الجزء الثاني المسمى بـ "السياحة" وأهم موضوعاته مطار سرنقر، وشوارع سرنقر، ودخول إسلام إلى الهند، وزيارة الأماكن المختلفة كالمساجد والقرى وغير ذلك ، ثم في الجزء الثالث تحدث عن رحلته الثانية إلى كشمير، تحدث في هذا الجزء عن سبب رحلته، وتراويح سرنقر، وإفطار كشميري، وغير ذلك من الموضوعات الكثيرة، ثم في الجزء الرابع بعد السياحة، تحدث عن الجمعيات الإسلامية في كشمير ووسائل سبل العمل، وأهمية المساجد في الدعوة، وعن أهم مجلات، والتعليم الديني في كشمير، والمعاهد التعليمية الإسلامية، والشيوعية والإشتراكية وغير ذلك من الموضوعات.

كشمير عند العبودي

تحدث العبودي عن قضية كشمير المحتلة بأسلوب أدبي رائع وبين كيد الهند واحتلاله، وتحدث عن النزاع في الأمم المتحدة كما يقول : (ثم وصل النزاع إلى الأمم المتحدة إلا أن الهند سارعت باحتلال أكثر إقليم كشمير في عام ١٩٤٨ م بعد أن مهدت لذلك بالكيد والدس مع حاكمها الهندوكي منذ استقلالها عن بريطانيا عام ١٩٤٧م. وضمتها إليها بالقوة ضاربة عرض الحائط بالأعراف الدولية وبمبدأ تقرير المصير الذي قررته الأمم المتحدة بعد ذلك في عدة قرارات تقضي بإجراء استفتاء في كشمير يقرر فيه السكان مصيرهم بالانضمام إلى الهند أو باكستان)[20]

وقد تحدث عن اسم كشمير الذي ذكر العرب قبله بلفظ القاف (قشمير) كما ذكر ياقوت الحموي في معجمه حيث يقول قائلاً: "لقد ذكر ياقوت كشمير كما ذكرها من سبقه من علماء العرب بلفظ (قشمير) بالقاف بدلاً من الكاف التي يلفظ بها أسمها اليوم مما حملني

أول الأمر على أن أظن بأن الكاف عند ياق هي القاف المضرية ـ بالضاء المنقوطة ـ التي هي الجيم المصرية ـ بالصاد المهملة ـ كما تعرف اليوم وإن ياقوت ومن سبقه من البلدانيين والكتّاب عن البلدان البعيدة قد كتبوها قافاً لأنها قريبة من مخرج القاف، .... غير أنني عندما زرت كشمير وجدت أهلها ينطقون باسمها كمد يدل عليه رسمها (كشمير) بكاف عربية أصلية."[21]

وصف موقع كشمير

يصف الشيخ العبودي موقع كشمير بأسلوب أدبي رائع حيث يقول: (تقع كشمير في موقع ممتاز من جبال الهملايا فهي على أقدام تلك الجبال أو لنقل إنها في جبال متصلة بجبال الهملايا الشاهقة، ولذلك تأتي الأمطار الغزيرة التي تنطلق من جبال الهملايا ومن الثلوج العظيمة التي تجلل أكتافها وهاماتها فتمر بكشمير أنهاراً تحمل الخصب والنماء، ومن كشمير تنطلق تلك الأنهار لتروي الهند وباكستان. وهذا ما جعل مطامع الهنود تتجه إليها ولا تتعداها كما ذكرنا ذلك في فصل القضية الكشميرية وموقها في الشمال الغربي من شبه القارة الهندية التي تشمل في الاصطلاح الهند وباكستان ونيبال وبنغلاديش ...)[22]

ثم يتحدث عن لغة كشمير حيث يقول قائلاً: ولغة أهل هذه البلاد هي الكشميرية المحلية مع الأوردية التي هي لغة المسلمين في الهند ولكن أهل الهند من الهنادك قد أحيوا اللغة الهندية التي تعتمد على الثقافية الهندوكية وحاربوا ـ ولا يزالون يحاربون ـ اللغة الأوردية التي كانت تصل الهند بالثقافة الإسلامية وقد نجحوا في محاربتهم فتقهقرت اللغة الأوردية فإن الكشميريين يرون أن اللغة الهندية هذه لا تربطهم بها رابطة ولا تصلهم بثقافتها صلة بل هي مناقضة للثقافة الإسلامية الأوردية.

يصف الشيخ العبودي السيد علي الهمداني بكلمات الأدبية القيمة كما يقول: أشرقت شمس الإسلام في هذه الأرض قبل خمسة قرون، وتحولت هذه البلاد من الوثنية إلى التوحيد الخالص، وذلك حينما قصدها داعية مخلص، ورجل رباني وشيخ من الشيوخ الكبارة، مصلح

صالح، الشيخ الأمير السيد علي الهمداني. إنني أتلذذ بذكر اسمه واهتز طربًا بأعماله الجليلة التي قام بها في هذه البلاد حتى قلبها رأسًا على عقب وهو من همدان، هل تعرفون لماذا جاء من همدان إلى كشمير وأي حاجة ساقته إلى هنا؟ ...[23]

ويصف جمال فتيات كشمير في قوله : "وعندما صعدت في الطائرة ولتني المضيفة على كرسي في الصف الأول بجانب فتاتين كنت رأيتهما وأنا واقف في الانتظار عند مكتب الترحيل فلفت نظري مظهرهما الذي لا مثيل له بين الموجودين في المطار من أهل الهند فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي من أي أرض في الهند هذا المظهر الجميل الذي لم أر له مثيلاً إلا في بعض أنحاء شمال باكستان؟. وعندما تذكرت أننا مسافرون إلى كشمير وأنهما قد تكونان مسافرتين إلى هناك لأنهما من أهل تلك الولاية زال عجبي لما هو معروف في أهل كشمير من صباحة في الوجوه وجمال في المظهر"[24]

وكان الشيخ العبودي أحياناً يزين كلامه ورحلته بالأشعار العربية وفي الأسطر سأنقل بعض الأبيات مثل ما ينقل شعر الشاعر حينما يتحدث عن كلمة (كشمير وقشمير) حيث يقول:

"وقد ذكرها بعض الشعراء فقال:

وحوّلتُ الهنود وأرض بَلْح و (قشْميرًا) وأذنْتني الكُميت[25]

وفي مكان آخر يقول: "تقدمني الدليل إلى بوابة لفناء خارجي موضوعة في الأصل بمثابة الزينة المكملة للبناء أو للمقام كما يسميه بعضهم وهي حديثة أو هي مجددة وعليها بالعربية والفارسية شعر نص العربي هو :

أنا الجيلي محي الدين أسمى وأعلامي على روس الجبال

وعبدالقادر المشهور اسمي وجدي صاحب العين الكمال[26]

وهذا الشعر كما ترى غث المعنى رث المبنى إلا أنه كتب لقوم لا يعرفونه ولا يعرفون ذلك عنه.

وفي مكان آخر يقول: "وحدثوني ونحن في السير عن موقع هذه القرية القريب من حدود كشمير الحرة المنضمة إلى باكستان فقالوا: إنه لا يزيد على ثلاثين كيلومتراً فقط ولكن يصدق عليه. قول الشاعر:

فيا داراها بالخيف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال[27]

و"أحسب أن في هذه النصوص تأكيداً على قدرة العبودي على العرض الأدبي والتميز فيه لو وجد وقتاً كافياً ولا يعني ذلك أنني أبحث عن مبررات لهذه الرحلة، بقدر ما هو الحرص على بيان الحقيقة، وفي ذات الوقت فإني أشيد بدورها الاستطلاعي الموثق الذي قامت به، والذي اختصر زمناً وجهداً، وجدير بالباحثين في العمل الإسلامي أن يولوا وجوههم قبل هذه الرحلات إذ إنها ستعطيهم بلا شك كثيراً مما يحتاجونه، ويتطلعون إليه".

الخاتمة وفيها أهم التوصيات والمقترحات.

وفي الختام أذكر بعض التوصيات والاقتراحات

١. إن الشيخ الناصر العبودي كتب أكثر من ثلاثمائة كتب في موضوعاتها المتنوعة.
٢. لم يكن اهتمام الشيخ بالرحلات من قبيل المتعة والسياحة بل رحلاته هادفة علمية دعوية تربوية.
٣. حرص الجامعات والمعاهد على إدراج كتبه في مناهجهم الدراسية.
٤. على الجمعيات والمؤسسات والمكتبات الاهتمام بترجمة كتب الشيخ ومقالاته خاصة إلى اللغتين الأردية والإنجليزية.
٥. يجب على الإعلاميين والكتاب والأدباء اقتداء الشيخ في أسلوبه السلس عند مخاطبة العامة في موضوعات تتعلق بحياتهم الاجتماعية.
٦. ينبغي للمعلمين والأساتذة أن يوجهوا تلاميذهم بدراسة كتب الشيخ قراءة وتحقيقا.
٧. على الباحثين أيضا أن يدرسوا حياته ويكشفوا لنا جوانبها التي لم يتم الاطلاع عليها.

٨. وعلى المهتمين وأولي الأمر أن يحلوا مشاكل المسلمين في ضوء ما اقترحه الشيخ من الحلول في كتبه ومقالاته.

الحواشي والمراجع

(1) نيويورك في ثلاث قصائد محلية، قوافل، شوال ١٤١٣هـ العدد الأول، ص/٧٤

(2) مجلة الفكر العربي، العدد ٥١، يناير ١٩٨٨، ص/٨

(3) نشأة النثر الحديث وتطوره، ج/١، ص/٣٠

(4) الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة عبد الله آدم نصيف، ص/٧

(5) نفس المرجع

(6) الجزيرة العربية في كتابات الرحالة الغربيين، دورية، الأدبية، ع/١٧، رمضان ١٤١٤، ص/٣٩،

(7) رحلات الحج ووسائل هامة لمعرفة الذات، د. عبد الرحمن العرابي، جريدة المدينة، ع/١١٨٩٥، ١٤١٦/٦/٦هـ ص/١٩

(8) أعلام الرحالة الجغرافيين العرب ورحلاتهم، د. عبدالرحمن حميدة، دار الفكر، ١٩٩٥، ص/٣٨

(9) نفس المرجع، ص/٢١.

(10) الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ص/٢٧

(11) الجامعات السعودية مقصرة في حق الترجمة، محمد آل زلفة، جريدة عكاظ، ع/١٠٣٤٧، ٤ رجب ١٤١٥هـ ص/ ٢٢

(12) هو الشيخ ناصر بن عبدالرحمن بن عبدالكريم بن عبدالله بن محمد بن عبود ، ولد في عام ١٣٤٥ هـ في مدينة بريدة ، وأسأل الله أن يطول عمره.

(13) جريدة الجزيرة ، بتاريخ ٢٠٠٢/٠٢/٥ ، والمقالة موجودة بموقع الشيخ ناصر العبودي بهذا العنوان : (http://www.alobody.net/saidabout.php?action=listsaidabout).

(14) www.alobody.net

(15) نفس المرجع

([16]) أدبية الرحلة عند العبودي، رحلاته إلى البرازيل أنموذجاً، رسالة ماجستير، عمران بن محمد الأحمد، الإشراف، د. إبراهيم بن محمد البطشان، ١٤٣٧، ص/ ١٧

([17]) نفس المرجع، ص/٢٠

([18]) سياحة في كشمير، ناصر العبودي، ص/ ٦

([19]) نفس المرجع
([20]) سياحة في كشمير ، ناصر العبودي، ص/ ١٢
([21]) نفس المصدر، ص/١٤
([22]) نفس المصدر ، ص/ ١٦
([23]) نفس المصدر ، ص/ ٣٠
([24]) نفس المرجع، ص/٣٩
([25]) نفس المصدر ، ص/١٥
([26]) نفس المصدر ، ص/٦١
([27]) نفس المصدر ، ص/١٨١

References in Roman Script:

1. New York fy thlath qsa'ed mhlyh, qwafl, shwwal 1413h al'edd alawl, P-74
2. Mjlh alfkr al-arby, Issue: 51, Jan 1988, P-8
3. Nshah tu Al-Nathr Al-Hadith Wa-Ttwwrh, V-1, P-30
4. Al-Rhalh alghrbywn fy aljzyrh al'erbyh, trjmh abdullah adam nsyf, P-7
5. Nfs al-mrja
6. Al Jazeera Al-Arabia fy kitabat alrhalh alghrbyyn, dwryh, al-Adbia, 'Issue-17, Ramdan 1414, P-39.
7. Rhlat Al-hajj wa-wsael hamh li-Marefah alzat, dr. Abdul Rahman al-araabi, jrydh al-mdinah, e-1895, 6/6/1416h P-19
8. Aalam al-Rhalh Al-jughrafyyn al-arab, Dr. Abdul Rahman Humaida, P-38
9. Nafsul Marja, P-21.
10. Al-Rhalh alghrbywn fy aljzyrh al'erbyh, P-27
11. aljam'eat al-Saudia mqssrh fy haqe al-Trjmh, muhammad all zlfah, jreedh okaz, e-10347, 4 Rajab 1415h P- 22
12. Howa al-shykh Nasir bin abdul Rahman bin Abdul kareem bin abdullah bin muhammad bin abood, woleda fy Aam 1345 h fy Mdeenah Braidh, W-Asalullah an yotwwel omraho.
13. Jreedh al-jzeera, B-Tareekh 5/02/2002, Wal-Mqalh Moojada B-Mwqa al-shykh nasir al-obwde bihaza al-onwan: (http://www.alobody.net/saidabout.php?action=listsaidabout)
14. www.alobody.net
15. ibid

16. Adabiiah al-Rihlah inda obwde, Rihlath ela al-Brazeel anmoozajan, Risala Majistair, Imran bin Mohammad al-Ahmad, al-Ishraf, dr. Ibrahim bin mohammad al-Batshan,1437, P-17
17. Ibid P-20
18. Seyahto fy Kashmeer, Nasir al-obwdee, P-6
19. Ibid
20. Ibid P-12
21. Ibid P-14
22. Ibid P-16
23. Ibid P-30
24. Ibid P-39
25. Ibid P-15
26. Ibid P-61
27. Ibid P-181